Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفصل الرابع

المقصود بالبادية والحاضرة

معلوم أن البادية ـ فى مفهومها العام ـ تعنى المكان ذا الفضاء الواسع ، والمرعى والماء ، أو البيئة التى لم تغير من أصل وجودها يد الكائن المخلوق ، فهى على هيئتها التى صادفها عليها ساكنوها منذ القدم . وتوارثوها جيلا بعد جيل دون أن تمتد يد لتعديل شىء فيها ؛ فهى من البدء كما هى اليوم على ما بدت فى أعين أبنائها أرض مفتوحة لا حدود فيها تقيد حركة ساكنيها ، ولا حواجز تمنع عنها من ظواهر الكون شيئا ، تستوى فى ذلك الحدود والحواجز المادية والمعنوية ؛ فساكن البادية لا تقيد حركته الحدود المادية من منازل مغلقة وقلاع محصنة ، كما لا تقيد حركته الحدود المعنوية من نظم وقوانين وحكومات .

فساكنو البادية هم ناس يعيشون فوق أرض لم تخضع لصنعة المخلوق ، وإنما هى أرض ما زالت على هيئتها الأولى التى خلقها الله تعالى عليها من أودية وجبال وكثبان ، وحيوانات ووحوش ، ومفاوز وقفار ، تظلها السماء بما تحوى من كائنات دون حجاب أو ستار ، فتستهوى النفوس بجمالها ولمعان نجومها ، وسطوع بدرها وإشراق شمسها ، وتخلع القلوب بأهوالها وثوراتها ، وتضنى الأجسام بقائظ حرها وموقر بردها وجفاف أرض ، ووعورة مسالكها ، وخشونة الحياة فيها .

هذه البادية بجمالها الطبيعى الذى لا يكدره وسائط من صنعة المخلوق ، وبمنفها وقوتها التى تهون إزاء ما تقدمه لساكنها من شعور بالذات ؛ فبينا الهدوء يسود كل شىء فيها إذا بالسماء تتلبد بالغيوم ، وصوت الرعد يدوى فى آفاقها ، ووميض البرق ينتشر فى ضاحيها ، وأزيز الرياح يثير الرعب فيها ، وسقوط الأمطار يفعم أوديتها ويطغى غدرانها ... وإذا بالحياة تعود من جديد كما كانت عليه من هدوء وسكون يخيم على كل البقاع .

هذه البادية بطبيعتها القاسية المتقلبة هى التى تضم البدوى وتستهوى فؤاده ، حتى